

في اليوم الثاني من اذار ١٩٥٦ ، رحل جلوب عن الاردن بعد ان اقام فيه خمسة وعشرين عاماً . وفوجئت بالنبأ كما فوجيء به سواي ، واغرورقت عيناي بالدموع عندما استمعت في الصباح الى صوت المالك حسين في المذياع وهو يعلن نبأ تحرير الجيش العربي الاردني. فقد كنت واحداً من آلاف المواطنين

الذين اصابتهم سياسة جلوب بالسجن والاعتقال والملاحقة والاضطهاد واحسست ان كابوساً مخيفاً قد ازيح عن صدور ابناء هذا الجزء الصغير من الوطن العربي ، بل عن صدور الكثيرين من ابناء العروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

وقد كتب الي (صديق) انجليزي يعاتبني على الطريقة الصارمة الحاسمة التي اتبعت في انهاء حياة الرجل في الاردن . وبدا الحق واضحاً في تعليقات الصحف الانجليزية حتى مضت الى اتهام الاردنيين بالعقوق وعدم عرفان الجليل ، لرجل قضى زمناً طويلاً في خدمتهم ، وكان من المدافعين العنيدين عن « كيان » الاردن وعن « استقلاله ورفاهيته وازدهاره » . وكتبت لصديقي اوضح له بعض ما خفي عليه وعلى الكثيرين من افراد الشعب الانجليزي ، ووعدت ان اكتب مقالا اشرح فيه « خدمات » الرجل التي يمنون بها علينا . وها قد مر عام حافل على رحيله ، ونستطيع الآن ان نزن الامر بروح معتدلة متجردة ، لا غلو فيها ولا اغراق .

لنبداً اولاً بالكتاب الذي وضعه جلوب « قصة الجيش العربي » (١) عام ١٩٤٨ ، واهداه الى ضباط الجيش العربي « اخواني في السلاح » . ففيه قصته هو الى جانب قصة الجيش العربي . لنقرأ ما كتب :

« عينت ضابطاً في فرقة المهندسين في نيسان ١٩١٥ بعد ان انتهيت دورة عسكرية مقتضبة في الاكاديمية العسكرية . وقضيت مدة الحرب العالمية الاولى في ميادين فرنسا وبلجيكا مع بعض فترات في المستشفى . وبعد ان انتهت الحرب ، بدت لي الخدمة العسكرية رتيبة ثلثة ، ولذا فقد سررت جداً عندما قرأت في صيف ١٩٢٠ ان الحكومة تعلن عن حاجتها لمتطوعين ضباط للخدمة في العراق . كان عرب العراق في حالة ثورة . ووجدت في هذا فرصة طيبة للمغامرات في بلد غريب ، والاشترائك في المعارك من جديد . فمتطوعت وقبلت . « وبلغت العراق بعد ان كان معظم القتال قد انتهى . وقضيت الشتاء على الحدود الايرانية . وقضيت صيف ١٩٢١ في الرمادي والفلوجه ، ولم يكن عملي يستغرق الكثير من وقتي . فابتعت مهرة وبدأت اتجول في البلاد واظوف بالقبائل النازلة في اواسط الفرات . »

«الجزال غلوب»

انكليزي في الاردن

بقلم كاتبه رفيف

هي البداية بعينها التي بدأها من قبله لورنس وجرترود بل وفلسي وبلجريف. انهم يبحثون عن المغامرات في بلاد العرب ، بلاد الف ليلة وليلة ، ويدعون حبا والهيام بها وباهلها . ولكن « ما الحب الا للحبيب الاول » . ان حبه لبلاد العرب لم يخرج ابدأ عن نطاق الدائرة الكبيرة التي يعيشون في

فلنكها: دائرة المصالح البريطانية، وان ولاهم الاول لم يكن ابداً عرضة للشك والتساؤل . فاذا ما تعارضت المصالح العربية والمصالح البريطانية، واذا ما اختلفت الاهداف - ظهر عند ذلك بوضوح وجلاء اين يقفون والى اين يتجهون .

من هذه الزاوية يجب ان نفهم الانجليز وغير الانجليز . قد يحبون بلادنا فعلاً ، وقد يستطيعون الاقامة بيننا ، ولكنهم يعملون جاهدين لخدمة بلادهم وامتهم من خلال حبه لنا واستطابهم الاقامة بيننا ، وكثير من الناس يظنون ان الانجليز متساهلون في وطنيتهم لانهم لا يتبعجون بها دائماً ، ولكن هذا خطأ فاحش ، فالانجليز من اكثر امم العالم تعصباً لقوميتهم ووطنهم، ومن اشد الناس غلواً في الاعتداد ببلادهم وتقاليدهم . ولكنهم على قدر كبير من المرونة وضبط النفس .

اقام جلوب في منطقة الفرات يختلط بالناس ولا يستنكف عن مشاركتهم في مختلف اطوارهم الحياتية ، واخذ يتعلم اللغة العربية ، فانتهت قيادة الجيش في العراق الى جهوده هذه، وعين في ربيع ١٩٢٢ ضابطاً في شعبة الاركان. ثم عين ضابط ارتباط في الناصرية . وقال في صدد ذلك « واستطعت في العامين التاليين ان اوصل معرفتي بقبائل النهر وباللغة العربية . وبدأت اتعرف كذلك الى البدو الرحل في الصحراء . »

لقد كانت الخاتون (جرترود بل) يومئذ هي التي تمسك خيوط السياسة الانجليزية في العراق . ان جلوب لا يذكرها في كتابه ولكن لاشك في انه تتلمذ على يدي تلك العانس الداهية ، ولاشك في انها استعانت به على انجاز كتابها الذي وضعته في ذلك الحين عن قبائل العراق ، لتسهل به مهمة الاستعمار . ولم يكن جلوب من اولئك الاجانب الذين يقومون بالدور الذي يسند اليهم فحسب ، بل كان من ذلك النوع الذي قامت على جهوده امبراطورية بريطانيا ، النوع المغامر الذي يريد الدخول الى حياة الشعوب الاخرى من الابواب العريضة ، وهذا لا يتاح لاجنبي الا اذا تنازل عن كبريائه ، وتعامل مع الناس الذين يحل بينهم كما يتعاملون هم مع بعضهم . لقد ارتدى اللباس البدوي . واخذ يتحدث بالهجة العامية ، وصار ينام كما ينامون ويأكل كما يأكلون بل يحل المشاكل التي تعرض له حسب عادات البلاد وتقاليدها ، لا حسب



الجزال غلوب

(١). The Story of the Arab Legion - 1948

ما توحى له العقلية البريطانية .
وقرأ عن رحلات برکهاردت ودوتي وبلدث وبلجرين في البلاد العربية
واراد ان يحذو حذو اولئك الرحالين . في ١٩٢٤ طاب اجازة وقطع
الصحراء السورية من العراق الى شرقي الاردن ، على امتداد مساحة لاتقل عن
خمسمئة ميل ، واستغرقت الرحلة شهراً كاملاً ، وكان برفقته خادم واحد ،
فابتاع جملين لهذا الغرض وارتدى ملابس البدو ، وسار باحثاً عن المغامرات .
وصادفته مصاعب كثيرة في الطريق ، وكاد يفقد حياته ، ولكنه بعد
شهر من الزمن بلغ غايته ، فنزل في ضيافة قبيلة بني محمر الضاربة في مشارف
عان . وقال ان استقباله في الاردن كان يحمل دلائل لا تسر ، اذ جاء الى بيت
الشعر الذي كان يحل فيه ، ضيوف آخرون من عان . ودار بينه وبينهم
الحديث التالي :

جلوب : ما هي الانباء الاخيرة ؟
الزائر : انت انجليزي ، ولا بد انك على معرفة تامة باحداث العالم .
جلوب : هذا مستحيل بالنسبة لي . لقد قضيت شهراً وانا اقطع الصحراء
على ظهر بعير ، بينما انت جئت بالسيارة من عان .
الزائر : اوه ، في هذه الحال لا بأس من ان احديثك . اننا نسمع ان
الانجليز قد حشوا بوعودهم مرة اخرى ، كما هي عادتهم .
وكان الحسين بن علي صاحب الثورة العربية يزور الاردن في ذلك الحين ،
فذهب جلوب لزيارته في الشونة بغور الاردن . وعندما حدثه عن سفرته عبر
الصحراء ، عبر الملك العظيم عن اعجابيه بقوله :

والله هذا بدوي !

وعاد جلوب الى عماله في العراق ، ثم استقال في ١٩٢٦ من الخدمة العسكرية
في الجيش البريطاني ، وعين في وظيفة مدنية مع حكومة العراق بصفة مفتش
اداري . وكان مركز اعماله في منطقة الفرات .
ولابد ان نجاحه في التعامل مع البدو والقبائل واختباراته الواسعة خلال
عشر سنوات - قد حازت على انتباه روسائه المسؤولين ، فعرض عليه في
خريف ١٩٣٠ ان ينتقل الى شرقي الاردن كي يتولى مهمة القضاء على عادة
الغزو بين قبائل البادية ، خصوصاً تلك الغزوات التي كانت تجري بين قبائل
بدوية من الاردن وقبائل بدوية من السعودية ، والتي كانت تقلق بال الحكومة
البريطانية ، لانها من جهة تعهدت على نفسها بحماية الاردن من الاعتداءات
المارجية ، ومن جهة اخرى كانت تتلقى الاحتجاجات المتكررة من ابن
السعود . وقبل جنوب العرض وجاء الى عان .

ونزل في دار المعتمد البريطاني هنري كوكس . وقال في كتابه انه اعد
ميزانية تكفي لتجنيد قوة قوامها تسعين رجلاً من ابناء القبائل ، ثم ابتاع سيارة
واتجه نحو مناطق البادية .

ولم تكن مهمة جلوب بسيطة ، ولم يكن طريقه مفروشاً بالرحمان ، فان
قبائل الحويطات التي توجه اليها وهي تقطن في المنطقة المتاخمة لحدود السعودية
كانت تنظر الى الحكومة نظرة عدا ، اذ ان هؤلاء البؤساء كانوا يهاجمون
من قبل البدو السعوديين وتنب مواشيمهم فلا تعمل حكومة الاردن شيئاً من
اجل استعادة اموالهم ، فاذا قاموا بغزوات مقابلة لاسترداد ما فقدوه ،
لاحقهم قوة حدود شرق الاردن البريطانية وطاردتهم وعاقبتهم .

ذهب جلوب الى البادية وحده مرتدياً الملابس البدوية . ولم يحاول في
بادي الامر ان يستعمل صلاحيته الرسمية . جاء الى البدو من الباب الواسع ،
فكان ينزل في بيت شيخ العشيرة ويطيعة اخال يقدم له الهدايا التي يكون
جلبها في سيارته من قهوة او ارز وسكر او نقود او ملابس . ويجتمع رجال

العشيرة في المساء في بيت الشعر عند الضيف فيشاركهم الحديث ويتذوق اخبارهم
ويسأل عن كل ما يثير اهتمامهم ، ويحدثهم بدوره عن بدو العراق وعن شعر
والقبائل السعودية المجاورة لعراق ، ثم يقول ضم انه جاء لمساعدتهم ، وان
استمرار الغزو سيؤدي بهم الى الدمار . ويبسطون له شكواهم ، واهمال
الحكومات ضم ، فيعدهم بالعون المادي وبالحمية من الغزوات الخارجية ،
ويقول لهم انه على استعداد لتسليح عدد من رجالهم اذا قبلوا الانتظام في سلك
الجندية تحت قيادته .

وصف جلوب في كتابه طرفاً من حياته آنذاك فقال : « كنت اجلس في
بيت الشعر ، واقضي طرناً كبيراً من الليل وانا احدث معهم ، حتى اذا انتصف
الليل ، غادرت الخيمة ولففت نفسي بالفراء ولبأت الى منخفض بين الرمال
كي انام في العراء »

وحديثي كثير ومن اخلطوا به في تلك الفترة فقالوا انه كان يقول للبدو
انه بدوي مثلهم ، بل كان يمضي في تقايدهم الى ابعد الحدود ، حتى ليأخذ
احياناً في البحث عن القمل بين ملابسهم كي يرمي به في النار على مرأى من الجميع .
ولكن الحويطات كانوا يعتقدون ان الانجليز وابن السعود يريدون
تخطيهم بسبب معاونتهم الفعالة بل جيش فيصل ، وكانت ثققتهم معدومة كايماً
بوعود الانجليز وكل من يتحدث باسم الانجليز . ورفضوا ان يخطرطوا في
سلك الجندية مع « ابو حنيك » (١) واستعان لفترة من الزمن بقوة حدود
شرق الاردن التي يقودها ضباط بريطانيون وتخضع لاوامر المندوب السامي
على فلسطين . كما استعان باضائرات البريطانية على ملاحقة بعض الافراد في
جبال الطيبق لارهاب بقية القبائل .

واول من اخطرط مع جلوب في سلك الجندية عبد زنجي من بادية السعود ،
ثم انضم اليه اثنان من بدو العراق كانا قد خدما معه في العراق ولحقا به الى
الاردن ، اما الرابع فرجل من قبيلة شعر ، ثم التحق به ثلاثة من اواسط
صحراء العرب .

وتراخت مقاومة الحويطات واخذت شكوكهم تتبدد تارة بالاعراض وتارة
بالارهاب ، فلم يطل به الامر واخذ بعض افرادهم يخطرطون في سلك قوة
البادية .

وقضى ستة اشهر في منطقة الحويطات حتى استتب له السيطرة وتوقفت
الغزوات . ثم تحول الى الازرق ونام باخضاع البدو النازنين على اطراف
جبل الدرروز وهم المعروفون بأهل الجبل .

وتباهى جلوب بما حقق في اطراف الصحراء من سيطرة حكومية لم يستطع
الاتراك ان يحققوا شيئاً منها خلال حكمهم الطويل . بل ان الاتراك كانوا
يدفعون الاتاوات الى رعاه العشائر كي يسمحوا لقوافل الحجاج بالمرور دون
ان يعتدوا عليها .

وحق جلوب ان يتباهى ، اذ تنازل عن عجرفته وعن « مدنيتها » وعاشر
البدو معاشرة تامة يأكل من طعامهم مها كان قدراً فلا يتأفف او يتذمر بل
يشاركهم اعجابهم بلذة طعمه . وكانوا احياناً يعجنون الدقيق ويشورونه على
نار القش فيمتزج بالرماد (والبدو يسمونها عربود او قرصاة) فيأكل معهم
من هذا ثم يذف نفسه بفرقة وينام الى جانبهم . وهكذا حاز على ثققتهم .
وعندما بدأوا يفتنحون طريقاً لسيارات في المناطق الصخرية بالجبل ، بدأ هو
ينقل الحجارة فاقتدى به جنود البدو . واول اصدر لهم اوامر بمقل الحجارة

(١) اصيب جلوب بطلق ناري في جانب وجهه فتشوه حذكه . ومن هنا
اطلق عليه البدو لقب « ابو حنيك » .

مجموعات « الآداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات
الأربع الاولى من « الآداب » تباع كما يلي :

مجلدة	غير مجلدة	مجموعة السنة الاولى
٥٠ ل.ل	٤٥ ل.ل	الاولى
== ٣٠	== ٢٥	الثانية
== ٣٠	== ٢٥	الثالثة
== ٣٠	== ٢٥	الرابعة

عطف البدو ، فتحسس هؤلاء واعلنوا اهم سيتبعونه حينما اتجه . وابعح دم
جلوب - على سبيل التشجيع - ان ينهبوا محلات سبني ، وهو المتعهد البريطاني
في شركة بترول العراق ، فنهبا جنود البدو ، وعوض جلوب الخسارة
مضاعفة لاصحابها . الا تبرر العاية الوسيلة ؟

وفي تلك الفترة حدث حادث فذ له دلائل انسانية وقومية عميقة . فان
بريطانيا كانت قد انشأت قوة عسكرية باسم قوة حدود شرق الاردن يقودها
ضباط بريطانيون . وساق البريطانيون هذه القوة نحو العراق للمقاتلة فيها . ولكن
قسماً كبيراً من افرادها وضباطها تردوا على الأمر الصادر ورفضوا مقاتلة
اخوانهم في العراق وعادوا فعلاً الى مركز القوة في الزرقاء فسرحتهم قيادتهم ،
وسزت روح التمرد في جميع افراد القوة فرفضوا المقاتلة في العراق او ضد
اية قوة عربية اخرى .

لعل سائلا يود معرفة السبب الذي حدا بافراد « الجيش العربي » الى المضي
قديماً لمقاتلة اخوانهم ، وبافراد « قوة الحدود البريطانية » الى التمرد على هذه
الاورام ! والسبب واضح جداً وهو ان افراد القوة التي يقودها جلوب
كانت من البدو ابناء القبائل الصحراوية الذين ما يزالون يعمهون في تقاليد
الجاهلية النقية ولا يعرفون شيئاً عن القومية والوطنية والاستقلال ولا يهمهم
الا الكسب الشخصي ، ولا سبب اخرى سأسرحتها فيما بعد . اما افراد قوة
الحدود فهم من ابناء المدن والقرى العربية الذين نالوا شيئاً من التعليم والثقافة
والذين كانوا يعمون - الى حد ما - آمال امهم العربية وآلامها .

واستدعي جلوب لمقابلة الجنرال ولسون في القدس ، فسأله هذا عما اذا
كان الجيش العربي مستعداً للاشتراك في معركة العراق . فاجابه جلوب قائلاً :
ان الجيش العربي مستعد لمقاتلة اي انسان .

وهكذا سارت القوة العربية تحت قيادة جلوب في طليعة الحملة البريطانية
التي زحفت من فلسطين . وقدمت هذه القوة الصغيرة خدمات عظيمة للحملة التي
احتلت بغداد وقضت على ثورة العراق التحررية . واعتبر الجنرال كلارك
بتلك الخدمات في رسالة منه للأمر عبد الله . وقال جلوب في كتابه ان القائد
العام البريطاني الجنرال ولسون صرح فيما بعد بانه لولا وجود الكتيبة العربية
لما استطاعت الحملة الزاحفة ان تحتل بغداد .

وبعد الانتهاء من حملة العراق اشترك الجيش العربي في العميات العسكرية

ووفت يتفرج عليهم لما اطاعوه لان البدو كانوا يومذاك يحثقرون الاعمال
اليديوية ويستنكفون عن القيام بها لئلا يهبطوا الى مستوى « الفلاحين » .
ان الامبراطورية البريطانية بنيت على كواهل رجال من هذا الطراز .

ولكن العبرة بالنتائج . فان مصالح بريطانيا كانت تقتضي استتباب الامن
في الصحراء تمهيداً لمشاريعها . ولم يكتم جلوب شيئاً من هذا فقال : « واقتد
كانت جهودنا في هذه المنطقة ذات فائدة كبرى ، اذ سرعان ما بدأت شركة
بترول العراق تمد خط الانابيب بين حيفا وكركوك . وامتد الخط على طول
الصحراء دون ان يحدث حادث واحد من رجال القبائل ، وكانت الغزوة
الاخيرة في الاردن قد وقعت في تموز ١٩٣٢ بين قبائل اردنية وسعودية .

وفي ١٩٣٢ غدا مساعداً لقائد قوة الجيش العربي ، ثم غدا قائداً للجيش
في اذار ١٩٣٩ فحل محل الكونتويل بيك الذي احيل على المعاش .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الثانية بدأ جلوب ينفذ مرحلة اخرى خدمة
لمصالح البريطانية بطبيعة الحال . في المرحلة الاولى عمل على استتباب الهدوء
في البلاد رغم الغليان الثوري الشديد الذي كان مستمراً في فلسطين ، وعندما
تسللت مفرزة من الثوار عام ١٩٣٩ الى جبل عجلون ووادي اليرموك قامت
قوات الجيش العربي بمقاومة الثوار حتى تم رحيلهم عن الاردن ، وقتل في
تلك المصادمات الضابط الانجليزي (مكادم) الذي كان يعمل مساعداً بجلوب .
اما المرحلة الثانية فقد كانت اكثر ايجابية بالنسبة لمصالح بريطانيا ، فلم
يعد يكتفي الاردن ان يبقى هادئاً ساكناً ينفذ اوامر الاستعمار بكل دقة وامانة
بارخص الاسعار ... بل يجب ان يعمل الاردن خارج حدوده في تنفيذ هذه
الاورام .

واعنن الامير عبد الله ان الاردن يرضع جميع امكاناته تحت تصرف بريطانيا
واكد مراراً وتكراراً ان العرب لا يتخلون عن اصدقائهم في اوقات الشدة .
ويجب ان نعترف ان موقف الامير عبد الله يومذاك لم يكن موقف خيانة ، بل
انه كان يعتقد اعتقاداً جازماً ان بريطانيا ستخرج ظافرة من الحرب وان
مصالحه العرب تقتضي منهم الوقوف الى جانبها لعلهم يستطيعون الاستفادة من
ثبات اخلاصهم ووفائهم لاصدقائهم .

وعرض الاردن خدماته فقاتلت بريطانيا ان الحرب لن تتعدى ميدان اوروبا .
ولكن انهيار فرنسا وقيام حكومة فيشي نقل الحرب فجأة الى الشرق ، اذ
جاءت طلائع الالمان الى سوريا ولبنان . وبدأ الانجليز يستعدون لمجابهة
الاحتمالات . وفي ١٩٤١ حدث الانقلاب الوطني في العراق فحاول الانجليز
انزال قوات عسكرية في البصرة تزيد عن القوات التي تسمح بها المعاهدة لكي
تسحق قادة الانقلاب الوطنيين ، فاضطر هؤلاء الى مقاومة هذه المحاولة
وحاصروا قاعدة الحباية قريباً من بغداد . وصممت الحكومة البريطانية على
تأنيث حملة مستعجلة لفك الحصار واخضاع العراق ، فطلب قائد الحملة الى
جلوب ان يرافق الحملة بصفتها « ضابطاً سياسياً » . ولكن جلوب اصطحب
معه كتيبة المدرعات في الجيش العربي .

وتحدث المتحدثون عن انه جمع الجنود العرب في المحطة الرابعة (H 4)
وقال لهم ما خلاصته : يا ابنائي واخواني . ان صديقتنا بريطانيا التي تمدنا
بالسلاح والمال ، تريد ان تعاين الوصي على عرش العراق في العودة الى قاعدة
ملكه اشرعي ، تلك القاعدة التي حال الغاصبون دون بقائه فيها كي يجعلوا من
العراق مستعمرة المانية . ان بريطانيا امدتنا بالمال والسلاح وهي التي تنفق
على جيشنا . وهي صديقتنا الوفية فهل يقبل العرب الاشواص ان يتخلوا عن
اصدقائهم ؟

وروى بعض من حضر ان جلوب بكى عند ذلك بدموع التأسع ، لاستشارة

للاسيلاء على سوريا . واعترفت القيادة البريطانية بالمشاركة الفعالة التي قدمها ضد قوات فيشي الضالعة مع المحور . وقال جلوب ان اوامر الحكومة البريطانية صدرت اليه والى الممتد البريطاني كركبر ايد كي يقوم بالاتصالات اللازمة مع بعض سكان سوريا تمهيداً لتقدم الحملة البريطانية الزاحفة . فعهد الى كركبر ايد ان يتصل بالدروز . بينما عهد الى جلوب بالاتصال برجال القبائل الضاربة شرقي خط دمشق حمص حماه .

ان جلوب لم يكن يتصرف كجندي في خدمة حكومة عربية ، بل كان ينفذ تعليمات حكومة بريطانيا ويشارك في ادارة حركة الاستخبارات . وحجته بطبيعة الحال ان مصلحة العرب والانجليز تلتقي . ولكن هل يمكن لأي امرئ ان يخدم سيدين او ان يعبد اثنين في آن واحد ؟

ودهدشت القيادة البريطانية للمهارة والبسالة التي ابداها الجنود العرب ، فاقترحت على الامير عبد الله ان يسعى لزيادة عدد قواته ، فرحب الامير بالاقترح وسرعان ما بدأ التجنيد والتدريب ، وكان معظم الجنود من افراد البدو ، بل ان الكتابات الآلية كانت لا تضم الا البدو . وكانت الخطة للمستقبل انه اذا هاجم الالمان تركيا ، اعد الحلفاء لمقابلتهم جيشاً في العراق وآخر في سوريا . فاذا اضطر الجيشان لتراجع قام الجيش العربي الاردني بحماية جناحيهما في صحراء سوريا ، ومناوشة جناحي العدو وتخريب خطوط مواصلاته .

وعندما تقدم رومل الى العلمين ، تحرك الجيش العربي الى سيناء ، وتحركت قوة طلائعية الى الصحراء الغربية واشتركت في المناوشات وراء خطوط الالمان .

صدر اليوم

المؤامرة السلامية ضد العرب

بقلم بول جونسون . تمهيد سيمر صمبر

- اول كتاب يصدر بالانكليزية عن حرب السويس .
- افطر وثيقة تفضح فطط ايدن ومريم و« اسرائيل »
- روسيا تتعهد بالقيام بمقلب فتؤيد مصر .
- رود والاس في المؤامرة .

نشر وتوزيع :
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع

وعندما غزا الحلفاء اوربا ، اعد الجيش العربي نفسه الاشتراك في المعارك وطار جلوب الى القاهرة لاستصدار الاوامر هذه الغاية . ولكن قيل له هناك : - ان القسم الاعظم من مساعدات الاعارة والتأجير الى روسيا لا تزال تمر على طرق البلاد العربية ، وطرق المواصلات مع اهتد لا تزال تمر من تلك البلاد ، وانايب البترول الحيوية تمر من هناك . انه من الضروري الاحتفاظ بقوات كافية في الشرق الاوسط ، واذا توجه الجيش العربي الى اوربا فمن الضروري ان تحل محله قوات بريطانية ماثلة . ليس من الافضل ان تبقى القوات الاوروبية في اوربا والقوات العربية في بلاد العرب ؟

وفعلا توزعت سرايا الجيش العربي وكتائبه حراسة المعسكرات الهامة في جميع بلدان الشرق الاوسط : في فلسطين وايران والعراق . وكان اوائك الجنود يقومون على حراسة انايب البترول في الصحراء والموانئ على السواحل ويحرسون القطارات العسكرية بين القاهرة ودمشق . فادوا للانجليز خدمات لا تقدر .

انتهت الحرب العالمية الثانية ووافقت بريطانيا على « استقلال » شرق الاردن مكافأة له على بلائه وولائه . ومنذ عام ١٩٤٥ قدرت بريطانيا لجلوب ان يقوم في هذه المرحلة الثالثة بدور اكثر خطورة وفعالية من الادوار التي قام بتنفيذها قبلا .

لقد خرج الجيش العربي من الحرب وهو قوة محاربة ممتازة ، وكان جلوب واعوانه من الضباط البريطانيين يقومون بقيادة هذا الجيش والتصرف بمقدراته . ويجب ان لا ينيب عن بلنا ان ميزانية الجيش العربي والتي كانت تزيد دائماً عن ميزانية الحكومة الاردنية - كانت دائماً وابدأ تحت تصرف الانجليز ولم تكن الحكومة الاردنية تعرف شيئاً عن كيفية ائفاق تلك الملايين . الجيش عربي ولكنه لا يخدم اغراض العرب . فالاموال الانجليزية والمسؤولون انجليز وهم يتصرفون كما يحلو لهم ، فالرتب العالية لمن يتقون بهم ويركنون اليهم ، وويل لمن عصى امرأ او خانت رغبة . فاما الطرد من الخدمة واما الازهال المطلق .

وجادت حرب فلسطين . وظهر الانجليز على حقيقتهم اذ اشترك بعض الضباط الانجليز من كانوا يخدمون سابقاً في الجيش العربي - في المعركة الى جانب اليهود . ولن انسى طيلة عمري ان قوات الجيش العربي التي بدأت زحفها نحو فلسطين في منتصف ليلة الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ - م تصل الى القدس الا في اليوم الثامن عشر من ايار . ثلاثة ايام كاملة قضاها الجيش على طريق معبده خالية من اليهود لكي يقطع مسافة تقطعها السيارات في ساعتين او ثلاث وهو الجيش نفسه الذي تفاخر جلوب بانه قطع المسافة من الاردن حتى بغداد عبر الصحراء في ١٨ ساعة فقط . ولكن شتان بين مشرق ومغرب . المقدكان الاعداء في ١٩٤١ هم الاحرار العرب . اما في ١٩٤٨ فهم اليهود . ولا احسبني اغاي اذا قلت ان الجيش العربي كان بمقدوره بلوغ القدس في صباح ١٥ ايار نفسه ، وانه كان بمقدوره احتلال القدس كلها في الثلاثة الايام التالية . لان قوة المناضلين العرب في القدس كادت ما تزال حسنة بل جيدة . ولكن جلوب تصرف يومذاك كما تصرف الروس على ابواب وارسو . عندما سمحوا للالمان بتحطيم الثورة البولندية في داخلها وهم لا يخبرون ساكناً على ابوابها .

وطلب الى الملك عبدالله تغيير قيادة جيشه فيما بعد ، ولكنه اجاب : ان الفارس لا يستطيع ان يغير فرسه خلال المعركة .

وسلمت الرملة واللد الى اليهود دون قتال . ثم تسلموا ايلات على خليج العقبة كما ينسلم المرء كأس مرطبات . وكذلك تسلموا المثلث العربي بعد نزوح الجيش العراقي عن فلسطين .

لأخذ مثلاً واحداً عن تصرفات جلوب . لقد اخلى اليهود في ١٥ ايار مستعمرة (كاليه) على البحر الميت قرب اريحا ، وكانوا ينتجون فيها البوتاس . وفي كاليه هذه كانت تقوم آلات ضخمة حديده لاستخراج البوتاس واعداده . فاذا حدث ؟ لقد نهبت المستعمرة ونقلت الآلات فبيعت في ازبد وعان ، وقيل ان الذين اشرفوا على البيع هم من ضباط الجيش في ذلك العهد . ولا يمكن قطعاً ان يتم عمل كهذا الا باطلاع جلوب وتشجيعه ، في الوقت الذي كانت حماية هذه المستعمرة لا تحتاج الا لبضعة جنود او حراس . واو بقيت الآلات على حاتها لاستطاع الاردن انتاج البوتاس منذ ١٩٤٨ ، ولاستطاع الافادة من ذلك عدة ملايين من الدنانير .

ومضى ابو حنيك في تنفيذ السياسة التي رسمت له في لندن . وكانت هذه السياسة ذات ثلاثة وجوه :

الاول - ان تكون الاردن حصناً بريطانياً مطاياً من الخارج بلاء عربي لتمويه . وان يستعمل هذا الحصن لتمزيق وحد العرب وتهديد كيانهم ودوهم وشعوبهم في بقية الاقطار العربية الاخرى . وقد نجحت هذه السياسة نجاحاً باهراً حتى اليوم الذي طرد فيه جاوب . اذ كان الاردن فعلاً هو البعيج الذي تحيف به بريطانيا بقية الدول العربية وعلى الاخص سوريا الشقيقة - الأم .

الثاني - ان تحفظ سياسة التوازن بين الدول العربية واسرائيل . فاذا هاجمت اسرائيل إحدى الدول العربية الاخرى بقي جيش الاردن ساكناً . واذا فكرت الدول العربية الاخرى بمهاجمة اسرائيل لم تستطع الاعتماد على جيش الاردن . واذا هاج الرأي العام في الاردن على هذا الموقف المانع قامت اسرائيل بهجمات موضعية - كما حدث في قببة ونحالين - كي تغتم بريطانيا الفرصة وتعلن عن تمسكها بالمعاهدة الاردنية وعزمها على حماية الاردن من العدوان الخارجي ولتنذر اسرائيل بعدم تكرار امثال هذه الهجمات . وذلك لكي تدعم رصيدها دعائياً لدى العرب والكي تشعر الاردنيين انهم تحت رحمتها ، وان مصرهم مرتبطة بالمعاهدة بينهم وبين بريطانيا .

ثالث - ان يجعل الاردن في كتابه عن وجهة النظر العربية في فلسطين دفاعاً جيداً ، وقال ان بريطانيا لم تتخل عن ديموقراطيتها الا في مواجهة هذه المسألة . ولكن جلوب لا يستطيع ان يخدعنا بوجهة نظر على صفحات الورق في الوقت الذي نراه يعمل فيه جاهداً على تنفيذ سياسة دولته بكل امانة واخلاص ، رغم انها سياسة مائلة كلياً لما تقتضيه مصالح الغزاة اليهود .

الثالث - ان يجعل الاردن في حالة قبول دائم لكل الفروض التي تفرضها المصلحة الانجليزية . فهو يسيطر على الجيش سيطرة فعلية تامة . وهو يتدخل في الصغيرة والكبيرة من شؤون البلد . وهو يلعب بالحكومات الاردنية كما يلعب الطفل بالدمى . وقد وجدت بين اوراقه - بعد رحيله - قائمة كبيرة باسماء الاشخاص الذين كان يشترى ولاءهم لانجلترا بالنقود ، النقود التي كان مفروضاً فيه ان يتفحقها على تسليح الجيش العربي .

ان الطريقة التي كان يتبعها في اخضاع الاردن لم تكن سراً مغلقاً على احد . حتى ولا على الملك عبدالله نفسه . ولكن الملك عبدالله كان يعتقد مخلصاً ان مصلحة الاردن هي في التمسك ببريطانيا . فكان يتظاهر بالرضى عن كل شيء . وكانت تمر به فترات لا يتألك فيها غضبه وغظه . فقد روي ان بدوياً اعترض مرة طريق سيارته - وهو امير - واخذ يلوح بردائه ليستوقف السيارة ، فامر الامير سائق السيارة ان يقف بها . وسأل البدوي عما يريد ، فقال البدوي :

الا تستطيع يا شيخ ان تدلني على بيت الصاحب ؟ (الصاحب لقب آخر كان يطلقه البدو على جاوب) فغضب الامير غضباً شديداً وشتم الرجل وجلوب وقال : ابلغ الأمر حتى اخذ البدو يسألوني في بلادي عن بيت هذا الاجنبي ؟

كان جلوب المسؤول الوحيد المباشر عن منطقة البادية كلها ، وهي المنطقة الممتدة الى الشرق من خط يبدأ من الرمتا فالمفرق فالزرقاء فهدايا فالكرك فالطفيلة فمعان فالعقبه . وهي تزيد في مساحتها عن نصف مساحة الاردن كله . وكان يحكم هذه المنطقة حكماً مباشراً بواسطة قوة البادية وافرادها من البدو انفسهم . فهو الذي يوزع الاموال ويحدد الجنود ويفصل في القضايا ويوزع الاراضي ، وهو الحكم الاخير في كل مشكلة تعرض . وهو الدولة كلها بالنسبة لسكان هذه المنطقة الواسعة لا يدينون بالولاء اشخص سواه .

وكان جلوب يلحق بقيادته جميع قوى الدرك والشرطة في الاردن ، خلافاً لما جرت به العادة في البلدان الاخرى من اخلاق هذه القوى بوزارة الداخلية . وكلنا يعرف ان من يسيطر على جهاز الشرطة يسيطر على كل صغيرة وكبيرة في البلاد . لقد كانت الشرطة في عهده اشبه بالجستابو النازية وهدفها ارباب المواطنين لا حياتهم .

اما اعتماد جلوب على البدو فقد كان عظيماً ، فالكثائب الآلية مؤنفة منهم لا يسمح للمجندين من اهل القرى . والمدن ان ينضموا الى تلك الكثائب . وكان يشعر البدو دائماً انهم اقرب من سواهم ، ويشاركهم مقبهم الغريزي للحضر ،

صدر حديثاً



صفحة رائعة من صفحات التاريخ العربي المجيد

ونحن نجد في كتابه دايلاً جديداً على الروح الاستعمارية التي تسيطر عليه إذ يقول :

– تزوجت في ١٩٣٨ وفي خريف ١٩٣٩ ولد لنا صبي في القدس .
ونصحننا البعض ان نسميه دافيد لانه ولد في مدينة الملك داود . ولكننا عزمنا
على ان نسميه جود فري ، على اسم جود فري دي بوالون ، اول ملك صليبي
للقدس . ولكن عندما عدنا به الى عمان ، اعلن صاحب السمو (الامير عبد الله)
انه يجب ان يحمل اسماً عربياً وساء فارس . وهو اسم يتفق تماماً مع اسم جود
فري . ومنذ ذلك الحين صرت ادعى « ابو فارس »
وهذه نبذة اخرى من كتابه . رجاء ان تزيد من عزم الداعين الى الوحدة
العربية :

– وكما ان الصهيونيين في فلسطين يعتبرون الجامعة العربية خطراً يهدد
استمرار كيانهم ، كذلك كان الصليبيون في القرن الثاني عشر يرون في اتحاد
سوريا ومصر كابوساً مخيفاً . وانقد استطاعت المملكة اللاتينية في القدس ان
تعيش خلال الفترة التي كانت فيها مصر غير متحدة او متصلة مع سوريا . وقد
انشأ الصليبيون ولاية الاردن الشرقية وعاصمتها الكرك كي يحولوا دون اتحاد
القطرين .
وهذه النبذة الاخرى :

– ان اسم « عربي » يطلق اليوم بدون تفريق على المثقف اللبناني كما يطلق
على راكب البعير في الصحراء . وهناك قائل من العطف المتبادل ، بين الطرفين ؛
فان الواحد منهما لم يدرؤ بعد القوة التي يمكن ان تنشأ عن اتحادهما : تجميع
ذكاء سكان الساحل بما فيه من دماء ودهاء مع فروسية البادية المناجحة . واذ
قدر هاتين القوتين ان تتحدوا ، فمن المحتمل ان تتجدد على ايديهما اتحاد العرب
الاولى .

– تقدم مر عام واحد على رحيل جنوب عن الاردن ، وفي هذا العام استطلعنا
ان نستنشق نسائم الحرية في ساء بلادنا ، واستطلعنا ان نخطو خطوات جبارة
لتحقيق اهداف العروبة .

ان حلف بغداد هو الذي عجل هذه النهاية الحتمية . ويجدر بالجنرال جلوب
ان يلم او لئك الذين قاموا بتخطيط حلف بغداد قبل ان يلوم الشعب الاردني .
ونحن لا نستطيع ان ننكر على جلوب دهاؤه وصبره وشجاعته ، ولكن شميننا
الطامح للسيادة في بلاده لا يستطيع بعد اليوم ان يرى سيده اجنبياً يتحكم في
مقدراته .

لقد ذكرت الصحف ان جلوب ذرف دمعة في قبرص بعد رحيله عن
الاردن . وقد تكون هذه الدمعة تعبيراً عن ندمه على الاساءات التي الحقها بهذا
الشعب الصغير الشجاع .

س . م .

الاردن

المسلمون في العالم

١ – المسلمون في المتوسط الشرقي

٢ المسلمون في آسيا

دار المكشوف ، بيروت

مؤكداً لهم انهم هم العرب الخالص الذين لم تفسدهم ثرور المدينة كما افسدت
سواهم : وقد سمعت جندياً من البندو خلال مظاهرات حلف بغداد يقول مخاطباً
أهل البلدة .. « والله ان الجهاد فيكم حلال . » لان جلوب كان دائماً وابدأ
يسم افكارهم من هذه الناحية بمختلف الوسائل والاساليب . وقد حدث في
الانتخابات السورية التي جرت في ١٦ تشرين ثاني ١٩٥٤ ان تمركزت في
عمان كتبية من الحضري تسيطر على الحالة وتمهد السبيل امام مرشحي جلوب .
وثارت نائرة الشعب ومشت المظاهرات الصاخبة ، ولكن الكتبية لم تطلق
النار كما صدرت اليها الاوامر ، فسحبت في الحال وجيء بكتبية من كتائب
البادية بدلا منها وسرعان ما اخذت ساحات عمان تصطبغ بالدماء . وتساقط في
ذلك اليوم عشرات الشهداء . ونجح المرشحون المرغوب فيهم من جلوب . اما
قائد الكتبية (محمود موسى) فقد نقل من ملائكة الجيش الى ملائكة الحرس الوطني
وهو عقاب بسيط بالنسبة لما نزل بغيره ممن كانوا يرفضون اطاعة الاوامر
القاضية بتقتيل اخوانهم .

اما اسباب اطاعة البندو العمياء فكثيرة . واهمها انه كان ، بهفته المسؤول عن
شؤون البادية ، يعمل دائماً على كسب ولاء البندو لشخصه لا للحكومة الاردنية .
والسبب الاقتصادي هام وحاسم فالبندي الفقير الجاهل الذي لا ينعم بالكفاية
من الغذاء والكساء – يجد نفسه فجأة جندياً يتقاض راتباً مضموناً بالاضافة
الى الكساء التام والطعام المنتظم الجيد . فيعتاد رويداً رويداً على هذا الرخاء
النسبي ويضطر لاطاعة ولي الامر كي يحتفظ بهذا المستوى المعيشي المرتفع الذي
اعتاد عليه ، والذي لا يمكن ان يجد بديلاً له اذا انفصل عن الجيش الا فيما ندر
من الاحوال . اما ابن القرية فلم يكن مضطراً الى هذا الحد بسبب اعتياده على
العمل في حقوله وما شابه ذلك من الاعمال العادية والحرف المهنية . وبسبب
حياة اهله القائمة على اسس اقتصادية اكثر ثباتاً واستقراراً . ولا يجب ان
يتبادر الى الذهن ان جنود البادية هم من بدو شرق الاردن فقط . فان
الكثيرين منهم كانوا ياتون من اطراف اليمن والصحراء العربية والعراق
للتخراط في سلك الجيش سعياً وراء الكسب . وهؤلاء لا يهمهم بطبيعة الحال
سوى اطاعة الاوامر اطاعة عمياء . فكانوا في حاضهم تلك اشبه بالجنود المرتزقة .
واذكر اني عندما كنت في المعتقل (ك ٢ وشباط ١٩٥٦) ان الميجر سوتر
قال لي بالخراف الواحد :

– ان خطأ هزاع المجالي هو انه رفض اصدار الامر للجيش لاحلال الهدوء .
ولو تسليح بقدر اكبر من الجرأة واعلان الاحكام العرفية ، لاستطاع الجيش
اخذ الاضطراب في يوم واحد ، ولاستطاعت الحكومة توقيع حلف بغداد في
هدوء شامل . وان التضحية ببضعة قتلى لا بد منها في هذه الاحوال .

وقال بصدد (جرأة) حكومة سمير الرفاعي في اعلان الاحكام العرفية :
– نو استمر الاضطراب يومين آخرين لانقسم الجيش العربي على نفسه ،
ووقف قسم منه الى جانب الحكومة ، والقسم الآخر الى جانب الفوغاء (the Mob)
ومن هنا كان حرص المسؤولين عند اعفاء جلوب من منصبه ان لا يسمحوا
له بالاتصال باحد ، خشية ان يلعب بعقول بعض قطعات الجيش ويشير في البلد
فتنة دائمة .

وهذه سياسة فرقة تسد في اجل مظاهرها وابشع صورها .
وما اتقع المسؤولون بخطر جلوب انه صرح في اجتماع عقد على مستوى
عال ليبحث الموقف العسكري بانه لا بد للجيش العربي من ان ينسحب من الضفة
الغربية دون قتال اذا عزم اليهود على شن هجوم شامل على الاردن .
ومن اعماله انه كان دائماً وابدأ يصور الحركة الوطنية في الاردن بانها حركة شيوعية
هدامة تشويهاً لها في الداخل والخارج . وكان سيف هذه التهمة مصلباً دائماً
على رؤوس الاحرار ، بالرغم من ان اكثرهم الساحقة لم تكن شيوعية ولا
ترغب في الشيوعية .